تـمّ تحميل هذا الملفّ من مكتبة الأديب الرّاحل رمضان لاوند | جميع الحقوق محفوظة © www.RamadanLawand.com

الأَديب و المُفكِّر الرَّاحِل

# رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَند

سيّد المنابر

## برنامج

## في رحاب القرآن –36

**مقدمة البرنامج ..**

**مؤثرات .. جماهير تطوف حول الكعبة وترفع صوتها بالتلبية ثم يغيب الصوت شيئاً فشيئاً ..**

**صالح** : أما تزال نائماً يا **جاسم** ؟

**جاسم** : "هه .. كمن يخرج من النوم " يبدو أنني نمت .

**صالح** : ويبدو أنك كنت تحلم أيضا ..

**جاسم** : وكيف علمت ذلك ؟

**صالح** : كنت تحرك رأسك ببطء شديد وكأنك تستمع إلى لحن أو تصغي إلى صوت أو تتابع حركة من الحركات ..

**جاسم** : أهي رمية من غير رام ؟ ! أم أنك جاء فيما ترويه لي ؟! ..

**صالح** : وما هو الفرق عندك ؟ ! يبدو أنك كنت تحلم حقاً ؟! ..

**جاسم** : هذا صحيح .. لقد رأيت فيما يرى النائم أنني في مكة في وسط ألوف من الناس وفدوا بمناسبة الحج إلى بيت الله الحرام وكلهم يطوفون حول البيت العتيق ..

**صالح** : الحقيقة يا **جاسم** أن صورة الألوف من المؤمنين وهم يطوفون حول البيت تبدو لي وكأنها شجرة خضراء وارفة الظلال في أرض صخرية بركانية لا حياة فيها ولا زرع ولا ضرع .

**جاسم** : ومن أين أتت هذه الصورة ؟! ..

**صالح** : إنها تأتيني كلما قرأت قوله تبارك وتعالى " إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ"..

**جاسم** : وما علاقة الشجرة الوارفة الظلال بهذه الآية القرآنية ؟! ..

**صالح** : أعتقد يا **جاسم** أن القاسم المشترك بين الآية وما ترمز إليه وبين الشجرة الوارفة الظلال هو نفسه بين صورة الطائفين الراكعين الساجدين وبين هذه الشجرة .

**جاسم** : العلاقة لم تتضح بعد في نفسي ..

**صالح** : المسألة بسيطة يا **جاسم** .. الذي أعرفه أنا من تصفحي لتواريخ الأمم وقصص الحضارات أن الأديان الكبيرة وما ينتج عنها من ازدهار وتقدم لا تبرز قوية إلا في أحواض الأنهار حيث الخصب والماء والقدرة على استنبات الأرض .

**جاسم** : أنت هنا لا تتحدث عن أعظم دين في تاريخ الشعوب . بل أنت لا تتحدث عن الدين الوحيد الذي هو دين الله في الأرض .. إنك تشير إلى مذاهب منحرفة صنعتها الأساطير واشتركت في صوغها مخاوف الناس وأوهامهم وانفعالاتهم المتباينة .

**صالح** : هذا صحيح .. ومع ذلك فإنني عاجز عن ادراك الحكمة من إقامة البيت الحرام في واد غير ذي زرع تحيط به جبال جرداء وتنتشر فيه حرارة تكاد تذيب الرؤوس ..

**جاسم** : قد نعجز يا **صالح** عن ادراك هذه الحكمة ولكنها موجودة حتماً .. فما رأيك لو نستعين بأستاذنا **محمد** في مناقشة هذه الظاهرة ؟! ..

**صالح** : هو كذلك يا **جاسم** ..

**نقلة موسيقية** .....

**محمد** : تتساءلان عن الحكمة في اختيار وادي مكة موطنا لأول بيت وضع للناس ولأقدس بيت يعبد فيه الله ؟! ..

**جاسم** : نعم يا أستاذ **محمد** ..

**محمد** : الحكمة قريبة منكما لو فكرتما قليلاً في الظروف التي تحيط بموقع البيت الحرام وترافق وفود الناس اليه من كل أقطار الأرض ..

**صالح** : كل ما نستطيع أن تلاحظه هو أن الأرض أرض قاحلة والحرارة فيها شديدة مرهقة أكثر أيام السنة . والناس يأتون إلى البيت الحرام القائم فيها من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم وليذكروا الله شاكرين حامدين .

**جاسم** : صحيح يا أستاذ **محمد** .. الملاحظ أيضاً أن الذين يأتون للحج هم رجال ونساء أوتوا حظاً غير قليل من الإرادة الصادقة والإيمان العميق .. إن حرارة العقيدة هي التي تدفع الجميع للتواجد في هذا المكان المقدس .

**محمد** : من خلال اجابتكما نستطيع أن نقرر بأن ظاهرة الحج هي ثمرة العوامل التالية : البيت الحرام في أرض لا تصلح للحياة .. المعوقات الشديدة التي ترافق السفر والانتقال من الأماكن القصية .. ثم حرارة الإيمان التي تترجمها إرادة قوية لا تبالي بالصعاب والعراقيل ..

أما خلاصة هذه العوامل فهي الاستجابة الربانية لدعاء أبي الأنبياء ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في أن تهوي قلوب الناس إلى هذا الوادي وأن يرزق أهله من الثمرات ..

**سعيد** : كل الذي ذكرته صحيح .. ولكن ماذا يعني هذا كله ؟! ..

**صالح** : لقد خطرت في بالي خاطرة .

**محمد** : قل يا **صالح** ..

**صالح** : كل هذا يعني أن حكمة الله قد قضت إثبات حقيقة إنسانية هامة . خلاصتها أن العامل الايجابي الأكبر في صنع مصائر الشعوب وتقرير مسيراتها هو الإيمان وما ينجم عن هذا الإيمان من إرادة قوية ..

**محمد** : أحسنت يا **صالح** .. إن وجود البيت الأول في واد غير ذي زرع واستمراره منارة دين وعلماً من أعلام التقى وموطناً تلتقي عنده مئات الألوف وتتوجه إليهع مئات الملايين من القلوب .. إن وجود هذا البيت في مثل هذه الظروف هو الآية والعلامة على عظمة الإيمان وعلى ما يمكن أن يحققه من منجزات مادية ومعنوية في تاريخ الأمم ..

**سعيد** : هل تسمح لي بمناقشة هذا الرأي ؟

**محمد** : طبعاً يا **سعيد** .. قل يا بني ما يحلو لك .

**سعيد** : الذي أعرفه أنا من خلال تجاربي ومطالعاتي الشخصية هو أن الأمة العظيمة لا تنشأ في بيئة محرومة من أسباب الرزق خالية من الحد الأدنى من شروط الحياة الممكنة كما أنها لا تنشأ في بيئة حافلة بالرزق يأتيها من كل مكان دون أدنى مشقة .. بل تنشأ في أرض وسط .. لا هي قاحلة جرداء .. ولا هي حافلة بالرزق الكثير الذي يمتنع معه العمل .. إنها الأمة الوسط في البيئة الوسط وحسب .

**محمد** : أنت لم تأت بجديد يا بني .. صحيح أن وادي مكة هو واد غير ذي زرع ولكنه لا يخلو في الوقت نفسه من أسباب الرزق .. كما أن أسباب الرزق فيه ليست منثورة في الأرض يلتقطها الناس دون تعب .. فهم يعملون ويكافحون ويصبرون ..

**صالح** : وفي وسعنا أن نضيف إلى ما تفضلت بذكره من أن وادي مكة قد وجد دائما الوسيلة التي يتوفر بها الرزق لأبنائه . لكن هذا الرزق محمول من قبل الوافدين اليه بطريقة من الطرق وهم جميعا يحملون في قلوبهم حرارة الإيمان ونور اليقين .

**جاسم** : هل تريد أن تقول إن وجود البيت الأول في وادي مكة هو التحدي الدائم الذي يعلن به الله سبحانه وتعالى دور الإيمان في تقرير مصير الأمم ؟! ..

**محمد** : طبعا يا بني .. ولعلكم تذكرون أننا قد أشرنا في ندوات سابقة قديمة إلى أهمية هذه الظاهرة وعظمة الحكمة التي قضت أن يوضع البيت الحرام للناس في هذا المكان من الأرض ..

**سعيد** : إنني اذ أشكر لي توضيحك لهذا الجانب من الموضوع أشعر بأن الحكمة االهية قد جاوزت هذا الحد نقضت بأن تكون خاتمة النبوات في البيت الحرام ومن حوله كما قضت بأن ينطلق تراث الحنيفية السمحاء في شخص ابراهيم الخليل عليه السلام من هذا البيت نفسه .

**نقلة موسيقية ..**

**الراوي** (1) : وينطلق الأستاذ **محمد** معقباً على ما سمعه قائلا : أيها الأبناء إن القرآن الكريم هو مدرستنا الكبرى التي نلجأ إليها ونستمع فيها كلمات الله نستبين معها الطريق إليه .. وهو نفسه الذي علمنا الدور الايجابي الأكبر للعقيدة . وقرر لنا أن خلاص الإنسان هو بالعقيدة وأن سقوط وخسرانه هما بزوال العقيدة وما سوى ذلك خاضع لرحمة الله التي وسعت كل شيء..

**الراوي** (2) : ثم يقول : ولا عجب في أن نقرأ في كتاب الله قوله عز وجل " إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ " والسبب في ذلك أن العقيدة السليمة هي مبرر وحيد لوجود الإنسان . لقد خلق الإنسان والإيمان رفيق له .. وشهد بوحدانية الخالق البارىء وهو بعد ذريرة صغيرة في صلب أبيه آدم .. وجعل من ارادته مصدر لتحقيق كل عمل كبير حين تكون هذه الإرادة موصولة بالإيمان على صورة من الصور ...

**الراوي** (1) : واذاً فإن القدرات الإيجابية في تاريخ كل أمة هي التي تحققها أو تمارسها بطولات تتعلق قلوب أصحابها بما وراء الكواكب والنجوم .. المسلمون منهم يتطلعون دوماً إلى السماء ويقلبون وجوههم في خلق السماوات والأرض ويرددون قائلين : " رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ " ..

**الراوي** (2) : ويأتي اختيار وادي مكة مكانا للبيت الحرام الذي هو أول بيت وضع للناس يعبدون فيه ربهم .. يأتي هذا الاختيار بمثابة البرهان الدافع على فاعلية الإيمان في ربط ملايين القلوب وحمل مئات الألوف من الناس على مواجهة الأخطار من أجل الطواف حول هذا البيت وذكر الله فيه ثم ينتج عن ذلك شهود ومنافع لهم هو ثمرة هذه الموجة الروحية التي تحمل الناس على الوفود إلى مكة المكرمة ..

**نقلة موسيقيـــة ...**

**سعيد** : في ضوء ما سمعنا نستطيع أن نقرر بأن قيمة الإيمان عند المسلم مشروطة بخط هذا الإيمان من المبادرة وقدرته على تحقيق المنجزات ومغالبة الصعوبات في حياته اليومية ..

**محمد** : ما هو رأيك يا **صالح** في قول أخيك **سعيد** ؟!

**صالح** : أعتقد أنه على حق .. فإذا كان الإيمان ذا فاعلية ايجابية فقد وجب أن يلعب دوره وأن يحدث أثره العميق في كل موقف .

**محمد** : أحسنتما معاً .. وأنت يا **جاسم** ما هو رأيك في هذا الموضوع ؟

**جاسم** : رأيي هو توكيد لما جاء به **سعيد** و**صالح** .. فالإيمان يهبط إلى الدرك الأدنى من الوعي والقدرة على الحركة حين لا يكون مصدراً للأعمال الكبيرة المبدعة في حياة المؤمنين ..

**سعيد** : وقياساً على ما تقرر في هذا الحوار نستطيع أن نقول أن المسلمين حين يمتنعون عن تشكيل أفكارهم في كل يوم ويكسلون عن مواجهة العقبات بالحلول العقلية المطلوبة وانطلاقاً من تعاليم الشريعة .. وحين يترددون في مواجهة الأخطار ويؤثرون العافية والحياة الهينة اللينة .. إن المسلمين حين يفعلون هذا لا يكونون على مستوى المسؤولية الإيمانية ولا يصدقون في حمل الأمانة التي عرضت عليهم فقبلوا حملها .

**صالح** : وأضيف إلى ما قرره أخي **سعيد** : أن المؤمن هو الذي يعمل في كل اتجاه تماما كالآلة الواعية التي صنعت لعدد كبير من الاستعمالات .. تغرق الأرض .. وتمهد الطريق .. وتبنى البيوت .. وترفع المصانع ..

وتنقل الأحمال .. وتطير في الجو .. وتغزو المجاهيل من حولها .. ثم لا تلبث تعمل وتعمل حتى آخر دقيقة تكتب لها من دقائق الحياة ..

**محمد** : الحقيقة يا أبنائي أنني أعتز بكم .. وأشعر أن الأيام التي نقضيها معا تكشف لي كل يوم عن وجه جديد من وجوه التقدم في معرفتكم بجوهر هذا الدين العظيم وبالمنهج الإلهي الذي تجدونه مكتوباً في هذا القرآن الكريم ..

**جاسم** : وفي مثل هذه المواقف يجب أن تقال كلمة الحق .. لا سيما وأنك أنت العامل المحرك لمسيرة ندوتنا اليومية .. وكلمة الحق تقتضي بأن أقول لك باسمي وبالنيابة عن اخواني إن الفضل في كل ما تنسبه الينا عائد إليك .. إن روح المبادرة عندك هي التي حرثت قلوبنا ثم وضعت فيها البذور الطيبة ثم استنبتت هذه القلوب فخرجت منها شتلات خضراء ازهرت ثم أثمرت من بعد ..

**محمد** : أما وقد رغبتم في اعطاء الحقوق لأصحابها فإنني أنتهز هذه الفرصة لأذكركم بصديقنا وأخينا وعالمنا الراحل الأستاذ حافظ الذي بدأ سلسلة هذا الحوار وأنار قلبي بالإيمان وأمسك بيدي حتى بلغت شاطىء الأمان .. غفر الله لنا وله ورحمنا جميعا يوم لا تنفع عنده شفاعة الشافعين ..

**نقلة موسيقية ....**

**الراوي** (1) : ثم يمضي الأستاذ **محمد** فيقول لتلامذته : كنت أرجو أن أحدثكم في هذه الندوة عن ظاهرتين هامتين كثيرا ما تطرق لها مفكرون إسلاميون .. فتحدثوا عما تتميز به كل منهما وكيف أنهما تتكاملان في شخص المسلم وتصان بهما فطرته وتتحقق بهما العملية التربوية في كتاب الله ..

**الراوي** (2) : ثم يقول : أما الظاهرة الأولى فهي طبيعة العلاقة بين الإنسان وربه .. وأما الثانية فهي طبيعة العلاقة بين الإنسان والكون .. فعساني أعود إليهما في ندوتنا القادمة إن شاء الله حيث نستبين عظيم صنع الله ونتعرف إلى جانب جديد من جوانب التوازن في فطرتنا الإنسانية ..

**موسيقى نهاية ...**